

خطاب صاحب الجلالة الملك المعظم أثناء مأدبة العشاء التي أقامها تكريما لفخامة رئيس الجمهورية الاتحادية الألمانية بمدينة « بون »

فخامة الرئيس :

بعواطف صادقة ومشاعر رقيقة، نشكركم أجزل الشكر على عبارات الترحيب التي وجهتموها لنا ومشاعر الصداقة الخالصة التي أعربتم لشخصنا وشعبنا وبلدنا عنها.

ولقد كان للفرحة التي أظهرتم معالمها وأبرزتم معانيها عند استقبالكم لنا وترحيبكم بنا، لأكبر الأثر في نفوسنا، حيث اقترن ابتهاجنا بهذه الزيارة بلذة تحقيق أمنية غالية على والدنا المقدس طيب الله ثراه، الذي أعرب قبل وفاته بقليل عن أمله رحمه الله في أن يعود يوما إلى هذا البلد الجميل ويجدد مع أهله وذويه ذكريات الماضي المجيد، وإن فرحتنا لأعظم ونحن نحقق هذه الأمنية.

وإذا كنا اليوم أول عاهل مغربي يقوم بزيارة رسمية لهذه الديار، فإننا إنما نجسم بذلك صلات الصداقة العريقة التي نسج التاريخ خيوطها عبر القرون والأزمان.

وإننا لم ننس يا فخامة الرئيس ذلكم التقدير المتبادل الذي طبع علاقات أسرة العلويين بالمغرب بأسرة الهوهانزولرن بألمانيا، فمن أجله وإحياء لذكراه أوفد جدنا المنعم السلطان مولاي الحسن الأول بعثة إلى الأمبراطور غليوم الثاني لتهنئته بمناسبة اعتلائه عرش الأمبراطورية الألمانية، وكثيرا ما كان رحمه الله يشيد بهذا التقدير المتبادل ويذكر معه صديقه غليوم الأول فيقول عنه رضوان الله عليه مستعملا هذه العبارة «إنه ياقوت أحمر وضع فوق قلبي».

وإننا لم ننس كذلك أن الرأي العام الألماني كان يطالب في أحلك عصور المغرب بوجوب احترام استقلال ملك المغرب ويؤكد بشدة أن كل تغلغل أجنبي إنما هو مخالف لمبدأ احترام سيادة جدنا المقدس أسكنه الله فسيح جناته.

ولازلنا نتذكر تلك الزيارة التاريخية التي قام بها جلالة الأمبراطور غليوم الثاني إلى طنجة، والصدى العميق الذي خلفه خطاب جلالته، ذلكم الخطاب الذي يحلو لنا الليلة أن نذكر بعض فقراته.

يقول الأمبراطور :

«إنني أقوم بهذه الزيارة إلى سلطان المغرب العاهل المستقل، وإنني أتمنى أن يبقى المغرب بلداً حراًمستقلا تحت سلطته العليا مفتوحاً أمام المنافسة السلمية لجميع الأمم التي يجب أن تتعامل معه على قدم المساواة دون ضمه أو احتكار خيراته».

نعم، لقد تغيرت الأوضاع منذ بداية هذا القرن ؛ ولكن دعائم الصداقة والاحترام المتبادل اللذين امتازت

بهما علاقات بلدينا لم تتلاش بل و لم يعترها الفتور، وإنه ليطيب لنا أن نرد للجمهورية الاتحادية الألمانية وبعد أزيد من ستين عاما الزيارة التي شرفنا بها الأمبراطور سنة 1905.

أثرتم قبل قليل يا فخامة الرئيس ذلك التقدير وتلك الصداقة اللذين امتازت بهما علاقات بلدينا، والواقع أنه لم يكن من الطبيعي أن تتسم هذه العلاقات بغير المودة والاحترام، إذ أن الصلات التي نسج خيوطها التاريخ والأحداث المشتركة تتقارب وتتصاهر ثم تذوب في ما يسميه كوت ــ واستأذنكم في ذكر عبارته ــ «التجانس المختار».

وكيف لا وشعبانا يمتازان بنفس الخصال والصفات الحميدة، فالمغربي يحلو له أن يجد في الألماني صفات يكبرها ويعجب بها، إنه يكبر في صديقه صفات الشجاعة والعزم والاقدام ويقدر فيه ميزات التعلق بالوطن وعبقريته وقيمه.

وكيف لا يحترم المرء شعبكم وشجاعته، وكيف لا نشاطر العالم كله إعجابه بالجهود الجبارة التي بذلها شعبكم من أجل النهوض ببلاده، فالنتائج التي يجني ثمراتها الآن تشكل أروع مثل يهتدي به، وتعد مفخرة للأمة الألمانية وحلفائها.

إنها المعجزة الحقيقية الراسخة التي تعبرون عنها بتواضعكم الكبير «بما يدعي بالمعجزة».

إن أمة متعطشة للتقدم ومتشبثة بالقيم والمقدسات كالأمة المغربية لا يمكن أن تنسى أنكم لم تعيدوا بناء معاملكم ومصانعكم فقط، وإنما أحييتم بعد رميم متاحف وكنائس، رابطين بذلك وبنفس الايمان والعزم ماضيكم بحاضركم.

فخامة الرئيس :

إننا نعرب عن ابتهاجنا للقيام بهذه الزيارة بعد أن سمحت لنا الأعباء الملقاة على عاتقنا بالاستجابة إلى دعوتكم التي تبرز مدى ما يكنه الشعب الألماني من صداقة وتقدير للشعب المغربي وما تنطوي عليه من رغبة أكيدة لتطوير علاقاتنا وتعزيزها وتوسيع نطاقها.

إن المغرب ــ وهو الأمة العريقة والبلد الفتي ــ الذي خرج من معركة الاستقلال والحرية مرفوع الرأس عالي الهمة لعازم على متابعة السير ومضاعفة الجهد من أجل بناء مستقبل أفضل يرفعه إلى مصاف الأمم المتقدمة.

ومنذ أناط الله بنا مهمة تسيير شؤون شعبنا وعهد إلينا بمقاليد بلادنا ونحن نحرص أشد ما يكون الحرص على أن تهدف سياستنا الخارجية إلى وضع علائق متينة بين المغرب وجميع البلدان تقوم على أساس التعاون المثمر البناء مع احترام سيادة كل بلد.

ولهذا كانت دعوتكم يا فخامة الرئيس واستجابتنا لها تكتسيان مغزى عميقا، إذ أن هذه الزيارة تعتبر دليلا على وجود إرادة مشتركة تستهدف تعزيز العلاقات القائمة بين بلدينا وتوسيع نطاق التعاون بيننا وتوثيق عرى التعارف بين شعبينا بما يضمن مصالحنا المشتركة ويقوي جانب التفاهم بين بلدينا.

نسأل الله جلت قدرته أن يرفع عنكم مأساة التجزئة ويحقق مطمح شعبكم في مستقبل باسم يعمه السلم



والاخاء كما نسأله تعالى أن يحفظ شعبكم الذي جاد على العالم بعباقرة أفذاذ استحقوا لقب «المواطن العالمي» ويديم عظمته وإيمانه الراسخ بسلطان الفكر والفن.

وإننا لندعو السادة الحاضرين في الأخير أن يقفوا احتراماً وتقديراً لفخامتكم ؛ والسلام.

الاثنين 5 شعبان 1385 — 29 نوفمبر 1965